

## التفكير النقدي في الفلسفة الإسلامية: ابن رشد أنموذجا

*Critical thinking in Islamic philosophy:**Ibn Rushd as a model*

مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية

فلسفة

جامعة مستغانم – (الجزائر)

أمين بلفاضل amin belfadel\*

amin.belfadel.etu@univ-mosta.dz

جامعة مستغانم – (الجزائر)

فلسفة

سباي لخضر seabai lakhdar

lakhdar.sebai@univ-mosta.dz

\*\*\*\*\*

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/15

تاريخ الإرسال: 2024/06/11

ملخص:

نروم من هذا المقال محاولة التنقيب عن حضور التفكير النقدي في الفلسفة الإسلامية متخذين الفيلسوف القرطبي أبي الوليد ابن رشد أنموذجا؛ وهو أحد أبرز الفلاسفة والعلماء في التاريخ الإسلامي الذي ذاع صيته بفضل حسه النقدي، كما نهدف من خلاله إلى إبطال الدعوى التي تبناها البعض من المستشرقين والتي تنكر مثل هذا التفكير، ادعاء بأن الفلاسفة المسلمين كانوا مجرد تابعين للآخر. وخلص المقال إلى أن الفلسفة الإسلامية تملك تراثا زاخرا حول التفكير النقدي مكنها من أن تقف على قمة الفكر العالمي، وكان لابن رشد نصيبا في ذلك، حيث أسس للتفكير الحر، ولأخلاقيات المناقشة. الكلمات المفتاحية: التفكير النقدي؛ الفلسفة الإسلامية؛ ابن رشد، الحضور؛ الإبداع.

**Abstract:**

We aim in this article to explore the presence of critical thinking in Islamic philosophy, using the philosopher Ibn Rushd (Averroes) as a model. He is one of the most prominent philosophers and scholars in Islamic history, known for his critical sense. We also aim to refute the claim made by some Orientalists who deny such thinking, alleging that Muslim philosophers were merely followers of others. The article concludes that Islamic philosophy possesses a rich heritage regarding critical thinking, which enabled it to stand at the pinnacle of global thought. Ibn Rushd played a significant role in this, as he laid the foundations for free thinking and the ethics of discussion.

**Keywords:** critical thinking; Islamic philosophy; Ibn Rushd; presence; creativity.

\* المؤلف المُرسَل: amin.belfadel.etu@univ-mosta.dz

## 1. مقدمة:

من الحقائق الثابتة التي لا جدال فيها أن حياة الإنسان مرهونة بما يتمتع به من ذهنية فلسفية مفكرة ومحللة وناقدة؛ ذلك أن أهم ما يميزه عن الجمادات ويرفعه عنهم هو فكره وقدرته على التفكير. وهذا الأخير هو من أعظم الأنشطة الإنسانية التي يمارسها عندما يقع أمام معضلة أو مشكلة ما، وقد ارتبطت به منذ أن عمر الأرض. وما هو جدير بالذكر أنه على أنواع، من أبرزها التفكير النقدي، حيث يعد من الآليات والمهارات الضرورية والهامّة، التي من شأنها أن تسمح بتقديم تفسير واضح ورؤية موضوعية علمية لكل ما له علاقة بمحيط الإنسان، وذلك على جميع المستويات، إن على المستوى العلمي، الفكري، العقائدي، السياسي، الثقافي وغيرها من الأصعدة.

ومن الخصائص التي تجعله يمتاز عن باقي أنماط التفكير، أنه يدفع صاحبه إلى عدم الأخذ بالآراء الجزمية القطعية، ولا إلى الأخذ بأي معرفة مهما كانت من دون تحليلها ومراجعتها بطريقة موضوعية تنبني على تفكيك أسسها التي تقوم عليها. حيث بات التفكير النقدي في عصرنا الملاذ الوحيد الذي يمكننا من التمييز بين ما هو حقيقي من الأفكار وما ليس كذلك. ومما لا شك فيه، أن هذه الفعالية التي مارسها الإنسان في كل العصور ولا يزال يمارسها لا ترتبط بحضارة دون أخرى، وليست حكراً على أمة أو ملة دون سواها، وفي هذا السياق، نشير إلى أننا نقف في الحضارة الإسلامية على تراث حافل بمفكرين وفلاسفة ارتبطت النزعة النقدية بحياتهم الفكرية، وعبرت عن قوة إبداعهم ونبوغ شخصيتهم واستقلالها عن غيرهم، فكانوا العامل المباشر في وجود ونشر الفكر الفلسفي النقدي في الفكر العربي الإسلامي، وما أحوجنا اليوم إلى مثل هؤلاء العقول اليافعة التي تسهر على تنبيه العقول.

ومن الفلاسفة الأجلاء الذين شقوا طريق الفكر النقدي في الفلسفة الإسلامية، وشكلوا عقل الأمة الإسلامية، وأناروا طريقها نحو الإبداع، الفيلسوف القرطبي أبي الوليد ابن رشد، رائد النزعة العقلية والنقدية في زمانه، والذي ذاع صيته خارج أمتة بفضل فلسفته التوفيقية المعروفة. حيث يقف على قفة الفكر العربي الإسلامي، والعالمي، امتلك حساً نقدياً ومنهجية في الحوار والمناقشة قل نظيرها في العالم أجمع، يلتمسها المتتبع لفكره في نصوصه الشهيرة والمعروفة بالثلاثية "فصل المقال لما بين الحكمة والشريعة من اتصال" "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة" "تهافت التهافت".

وفي هذا المقال سندسعى إلى البحث في مسألة حضور التفكير النقدي في الفلسفة الإسلامية بوجه عام، وعند الفيلسوف ابن رشد على وجه الخصوص، كونه أحد أبرز الفلاسفة في التاريخ الإسلامي، وذلك ارتكازا على نصوصه السالفة الذكر، واعتبارا لكون فلسفته أسست فعليا لاتجاه نقدي في الفلسفة الإسلامية. ونهدف من خلال ذلك إلى بيان تجذر وحضور التفكير النقدي في التراث الفكري الإسلامي، للكشف عن مدى العبقرية والإبداع الذي ميز هذه الفلسفة على غير الفلسفات والحضارات الأخرى، وليكون بمثابة الرد على كل مشكك فيها ورافض لإبداعاتها، ونطمح من خلال ذلك إلى التأكيد على أننا نملك تراثا زاخرا حول "التفكير النقدي" يقتضي منا استثماره في مناهجنا التعليمية وبرامجنا التربوية، كما نهدف إلى رصد ملامح ومعالم هذا التفكير عند ابن رشد، والكشف عن أبعاده وأخلاقياته.

وتأسيسا على ما سبق، ارتأينا أن تكون الإشكالية الرئيسية لهذه الورقة في ما يلي: إلى أي مدى يمكن الحديث عن حضور التفكير النقدي في الفلسفة الإسلامية بوجه عام، وفي فلسفة ابن رشد على وجه الخصوص؟ وما الغاية التي أسس لها ابن رشد من خلال نزعته النقدية؟ وكيف يمكن استثمارها في واقعنا المعاصر؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكالية، رأينا إتباع خطة من شأنها أن تحيط بالموضوع والغاية منه، حيث سنتطرق أولا إلى دلالة ومفهوم التفكير النقدي، من خلال ضبط تعريفه وأهم خصائصه، مع الإشارة إلى علاقته بالفلسفة ثم نتجه ثانيا إلى تقصي هذا التفكير في الفلسفة الإسلامية من حيث حضوره ومنزلته لدى مفكرها وفلاسفتها، بعدها سنركز على النموذج الذي اخترناه ألا وهو التفكير النقدي في فلسفة ابن رشد.

## 2. في دلالة التفكير النقدي:

### 1-2 تعريف التفكير النقدي:

إذا كنا لا نقف على تعريف دقيق محكم للتفكير النقدي يتفق حوله الباحثين والدارسين؛ فإننا يمكن أن نحدد معناه بناء على تفكيك مصطلحاته المكونة له، حيث يمكن القول إن التفكير النقدي، هو ذلك الضرب من التفكير التأملي الذي لا يسلم بسهولة بكل ما يقال أن يروى، وإنما يخضعه للنقد والتشكيك والتعديل بصورة نشطة، في مقابل التفكير السلبي الذي يتلقى كل ما يطرح عليه من أفكار دون أي محاولة لمناقشتها وفهمها بصورة نقدية. (النشار، 2013، صفحة 14) فهو بهذا تفكير قائم على التروي

والبصيرة وعدم التسرع في الحكم أو اتخاذ أي قرار دون مساءلة أو تمحيص، فكل خطاب مهما كان نوعه، سياسيا، اجتماعيا، دينيا، فلسفيا، لا يحمل في ذاته أي صدق أو شرعية ما لم يمر عبر محكمة التفتيش إن جاز التعبير، يحاكمها وفق الشروط الموضوعية والنقد البناء، الذي لا يركز على الجانب الشكلي فقط، وإنما يسعى إلى تشريح المضمون للتأكد من صحته وموافقته للحقيقة.

وبناء على ذلك، يمكن القول إن التفكير النقدي يتعارض تماما والوثوقية، ذلك أنه ينبنى على منهجية صارمة سليمة، يسعى من خلالها إلى الكشف عن مواطن الغلط والوهم والتلبيس التي تأتي في ثنايا الخطابات، إن بصورة إرادية أو غير إرادية، وذلك كله من أجل إبقاء المتلقي في شبكة الإيمان المغلوط، وجره إلى التسليم بدون نقد، ولعل الأمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى حول المغالطات التي تنتشر بقوة تنأى بالفكر أحيانا إلى التكفير والتعصب (الباهي، 2013، الصفحات 153-154). لذا فإن الحاجة ملحة لتقويم كل ما يرد الإنسان من تصورات وأفكار، والعمل على فحصها بدقة كما يعمل على فحص كل ما بينه من استدلالات وأدلة يتوجه بها إلى غيره أثناء التحوار والمناظرة، ذلك ما تستدعيه شروط المناظرة الحققة والحوار الخلاق، هذا الحوار لا شرعية له إلا باعتماد التحليل والموضوعية بدلا من القوة والإكراه والغلبة،

ومن التعريفات التي يمكن ذكرها تدعيما لما سبق، ما أورده الفيلسوف البراغماتي الأمريكي جون ديوي حينما عرفه بأنه اعتبار فاعل، ومتشبه وحذر لاعتقاد أو لافتراض نوع من أنواع المعرفة في ضوء قاعدة تُدعمه واستنتاج ينتج عنه، وهو بهذا يميزه عن التفكير العادي الذي يكون فيه المرء مستقيلا فقط للأفكار، أي ليس فاعلا، وإنما منفعلا فقط، كما يتضمن معاني التبصر وعدم التسرع، والحذر (فشر، 2009، صفحة 15). كما عرفه محمود فندي العبد الله بأنه: «طريقة في التفكير المستقل، وإدارة الإنسان تفكيره بذاته، وهو الذي يمكن الإنسان من استخدام مهاراته العقلية من أجل تحقيق تفكير أفضل يمتاز بالوضوح، والدقة، والمرونة، والفاعلية، والدافعية والمنطقية والحوارية» (فندي العبد الله، 2007، صفحة 97). بمعنى تجاوز التقليد الذي يُعد من أبرز ما يروج للأفكار والاتجاهات فتنتقل عبر الأجيال، ذلك أنه لا يتأسس على الحجة والبرهان.

ويراد به أيضا بالفكر الذي يتجه إلى التساؤل المسلط على مضمون القول وهو ما يعرف بالنقد الداخلي أو يسلط على الشكل وُعرف بالنقد الخارجي، أو يمكن أن يكون تنبيها عن عيب فيسمى قدحا، أو يبين المحاسن فيسمى مدحا. (الحفي، 1990، صفحة 359)

## 2-2 خصائصه:

إن من أبرز الخصائص التي تميز التفكير النقدي، أنه مشروع تنويري يرسخ قيم النزاهة والموضوعية والتسامح بين الأفراد، ويُنبئ الاستقلالية الفكرية، لكونه يحاول أن يمارس المراقبة على الطريقة والمنهجية التي يفكر بها (الحصادي، 2021) أي أنه تفكير يرفض التشبث في الأحكام القطعية والبداهات، التي تعمل على شل التفكير وهدمه، فتجعله يُعيد إنتاج ما فُرض عليه من معارف فقط، إذ يركز في جوهره على إعادة بناء وتأسيس منظومة من القيم الأخلاقية والجمالية والحقوقية على قواعد علمية، وتجنب النظرة المغلوطة تجاه الغير. وما يميزه أيضا، عدم قبول أي معرفة أو خطاب إلا بعد الوقوف على الأسس والحجج التي ينبنى عليها، والميزان الحكم في ذلك العقل (ماهر، 2020، الصفحات 173-178). إنه ببساطة تفكير يحارب المسلمات والسائد من الأفكار التي لا أساس منطقي لها، ويؤسس في المقابل إلى المساءلة الفعالة والتفكير المستقل، والتحليل البناء للأفكار والمواقف من أجل تجنب الوثوق الأعمى والجمود الفكري، وهي الخاصية التي انطبعت بها الفلسفة منذ نشأتها كحقل معرفي.

وهذا يتضح لنا أنه عملية تساهم في تحرير الأفراد من القيود والتبعية من الناحية الفكرية والمعرفية، إذ يتجسد بوصفه عنوانا للحربة القائمة على الشك المنهجي، ليصبح بذلك ضامنا حقيقيا للتفكير الإبداعي، أي أنه ينتصب سداً منيعاً ضد كل ما هو جاهز ومعطى مباشر، فلا كيانات راسخة تحمل طابع الديمومة، فكل ما هو مُنتج من قبل الإنسان يُعد نسبياً، وموجه للنقد والمراجعة والتصحيح. وإذا تفحصنا جذوره ونشأته في تاريخ الفكر الإنساني عموماً واليوناني على وجه الخصوص، نجد هذه الخصائص حاضرة بقوة، فبفضله انتقلت الفلسفة اليونانية من الميثوس إلى اللوغوس، لأنه يضع الموروث موضع التمحيص والمساءلة (البليهي، 2007).

والجدير بالذكر، أن النقد يُعد الميزة الأساسية التي ينطبع بها التفكير الفلسفي (إمام عبد الفتاح، 1976، صفحة 85). ومن خصائص النقد أنه أساس الآليات الأخرى التي ينتجها، كالإبداع والاستقلالية، فلا يمكن تحقيق هذه الغايات من دون النقد الفلسفي.

بحيث يقوم في جوهره على تجاوز كل ما له علاقة بالتقليد والتبعية الفكرية التي تتنافى والفكر الحر، ليكون بذلك، ممارسة العمل النقدي هي إحدى دلالات وجود التفكير الفلسفي، وفي هذا الصدد يقول عاطف العراقي: «لا يخفى علينا أن المفكر إذا أراد أن يقدم لنا فكريا فلسفيا فإن هذا الفكر الفلسفي لابد أن يقوم على أساس النقد لا مجرد المتابعة لأراء الآخرين. إن المفكر لو كان متابعاً لأراء الآخرين مقلداً لهم، فإنه لا يستحق أن يسمى بالفيلسوف [...] ومن هنا نجد النقد معبراً عن الحركة لا السكون، عن التجديد لا التقليد، معبراً عن الثورة لا الجمود» (العراقي، 1984، صفحة 18).

### 3. تجليات حضور التفكير النقدي في الفلسفة الإسلامية:

مما لا شك فيه أن الحديث عن التفكير النقدي في الحقيقة حديث عن الإبداع والارتقاء في سلم الحضارة؛ لذا لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستعاضة عنه أو تأجيله، فهو الذي أسهم في إخراج العقل البشري من الكهف المظلم وأيقظه من سباته، ومكنه من خطر المسلمات الخاطئة، بما منحه من معرفة آليات طمس الحقيقة. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه لم يكن حكراً على أمة دون سواها، ولا ثقافة دون أخرى، أي أن الحضارات على اختلافها مارست التفكير النقدي، من خلال محاولات علمائها ومفكرها. ونخص بالذكر في هذا السياق الحضارة الإسلامية، فقد قطع مفكروها وفلاسفتها خطوات كبيرة في سبيل تأصيله وتنميته. إذ يكفي المتتبع للتراث الفكري الإسلامي أن يدرك ذلك من خلال سلسلة المناقشات والحوارات التي دارت بين العلماء والفلاسفة وعلماء الكلام حول أبرز القضايا التي شكلت الفكر الإسلامي، فكان نتاج ذلك جملة من النصوص الفلسفية التي تضمنت تفكيراً نقدياً بارزاً، وحسبنا أن نشير إلى كتابي "تهافت الفلاسفة" لأبي حامد الغزالي و"تهافت التهافت" لابن رشد حيث كان الأول نموذجاً للنقد، وكان الثاني الذي أتى بعده بقرن من الزمن بمثابة نقد النقد. ومنه، فإنه ليس لتلك الفرضية التي تقول إن العرب كانوا خارج التاريخ لأنهم كانوا مجرد نقلة للتراث اليوناني والفارسي، من مشروعية ولا أي مسوغ، بل على العكس من ذلك تماماً، فقد اشتهروا بالتفكير النقدي كغيرهم من الأمم، ذلك أن القرآن يدعو إلى التفكير والتحوط.

وما نود الإشارة إليه، أن فلاسفة الإسلام والمفكرين العرب وإن استفادوا من تراث غيرهم، فإن ذلك لا يعني خلو تفكيرهم من عنصر النقد والتساؤل حول المسلمات، فقد مارسوا التفكير النقدي نظرياً وعملياً، وقد تجسد ذلك في عديد الكتب التي تضمنت نقداً

لتراث غيرهم، ومن نماذج ذلك كتاب التهاافت للغزالي، كتاب الشكوك على بطليموس لابن الهيثم. (خباز، 2017/10/14) حيث تركّز اهتمامهم على علوم عصرهم وما تحمله من أفكار قد تكون مخالفة للدين، فقد حارب الغزالي بشدة التقليد الأعمر للفلسفة اليونانية من قبل فلاسفة الإسلام وحاول أن يبعد العامة عن خطر هذه الظاهرة، وهو الأمر الذي نجده ماثلاً في كتابه "مقاصد الفلاسفة"، وقد انصبّ جل اهتمامهم على إعادة فحص المعرفة البشرية وما تحمله المسلمات من ضلالات توهم العامة من الناس فتشككهم في دينهم وشريعتهم، أي أنهم عملوا على تأسيس منظومات فكرية على قواعد علمية زهية، هي في الأساس آليات الفكر النقدي، فامتلاك ناصية النقد وآلياته، من فحص دقيق، وتمحيص، وثبت، وعدم الانسياق وراء الأحكام المتسعة، جعلتهم يقفون على قمة الفكر الإنساني العالي، وكل من يقرأ ويتفحص بعقل حصيف تاريخ الفكر الإسلامي يجد أن كل دعوة تبناها فلاسفته وعلماءه كان مردها الثورة على كل ما ترسب من بديهيات، ومحاولة لمحاربة التعصب والانغلاق الفكري والجمود الذي سببته ظاهرة التقليد والأخذ دون نقد. ولقد أدرك فلاسفة الإسلام بفكر ثاقب، ووعي متبصر، خطر التقديس لأفكار الغير، والجمود الفكري الذي لحقهم بسبب ذلك، فاجتهدوا بكل مسؤولية من أجل بناء فلسفتهم على منهج النقد، وهو ما تحقق بالفعل بفضل ثقافتهم العلمية والمنهجية الرصينة. فالشك المنهجي الذي مارسه الغزالي كان له صدى حتى في الفلسفة الغربية الحديثة لدى ديكرت وهيوم، ونزعتة النقدية نلتمسها في فلسفة كانط في العصر الحديث. حيث كان من الفلاسفة المسلمين الذين تعرضوا بكل شجاعة لنقد العقل، وبيان قصوره في إدراك المسائل الإلهية. وهذا ما يدفعنا إلى الإقرار بأن التفكير الفلسفي هو في حقيقته تفكير نقدي،

ونستشف معالم هذا التفكير لدى الشهرستاني، حيث اشتهر بنزعة نقدية جسدها في كتابه الشهير "مصارعة الفلاسفة"، الذي ارتبط بالنقد المباشر لفلسفة ابن سينا على وجه التحديد. غير أنه اختار لنفسه المنهجية الموضوعية التي اقترنت بالفضيلة العلمية، أي أنه كان موضوعياً في ردوده، إذ يورد أطروحات ابن سينا ثم يعمل على مناقشة البراهين التي قامت عليها، من أجل إبطالها، بعيداً عن كل الأساليب الجدلية والسفسطائية فلم يكن النقد عنده يبلغ مرتبة التكفير للآخر، أي كان نقداً من فيلسوف لفيلسوف، وهو ما نحسبه عين الإبداع والتحرر. (الشهرستاني، 2019، الصفحات 7-8) والمتابع لسيرة وفكر

هذا العالم يدرك أن الحس النقدي لديه إنما جاءه من القدرات العقلية التي يتمتع بها، ومن ثقافته الموسوعية، إلى جانب الظروف التي عايشها في عصره، وهو ما مكنه من تجاوز كل ما يلقي إليه، فكانت قدرته النقدية تجسيدا لأصالة المفكر الإسلامي (الشهرستاني، 2019، صفحة 10).

وحاصل القول، إن الفلسفة الإسلامية حافلة بتوظيف النقد كغيرها من الفلسفات، حيث تجسد أحيانا في مصطلحات الرد، النقض، التهافت، بمعنى أنها لم تكن رهينة للتقليد والإتباع والتسليم اللأدري.

#### 4. التفكير النقدي في فلسفة ابن رشد:

من يتصفح الكتب التي تتحدث عن تاريخ الفكر العربي الإسلامي يدرك المكانة التي احتلها ابن رشد؛ حيث يقف على قمة هذا الفكر، بل على قمة الفكر الإنساني العالمي. ولم يصل إلى ذلك بمحض الصدفة أو اعتباطا، وإنما بفضل ما تمتعت شخصيته بفكر عال، ومنهجية عقلية، وحس نقدي ما نحسب أنه كان لغيره من الفلاسفة وعلى هذا، تصبح آراء بعض المستشرقين، ونقاد هذا الفيلسوف باطلة، لكونها تجعل منه شخصية تابعة مقلدة لأرسطو لا غير، ولا نتزيد في القول بأنه من أكبر مفكري الإسلام أصالة وابتكارا، حيث أسس مدرسة فكرية أعطاهها طابعا منهجيا ومعرفيا، قوامها العقل والنقد البناء. ولعل الدليل في ذلك ذبوع صيته خارج الثقافة الإسلامية واهتمام الفلاسفة به. فكانت فلسفته بوجه عام نقدية تأسيسية، أثبتت أن العقلية العربية قادرة على الإبداع والإثراء للفكر البشري.

اضطلع ابن رشد بعقلية رصينة متفتحة تمثلت في الإطلاع على الفلسفات المشائية التي سبقته ثم انصب نقده عليها قاصدا تطهير الفلسفة الأرسطية وما لحقها من تشوهات وأخطاء؛ وقد جاء رده على الغزالي من أجل رد تهمة الكفر التي ألصقها بالفلاسفة من دون الإطلاع على فلسفة أرسطو مباشرة، لذا كانت محاولاته من أجل التأسيس للحقيقة وتجاوز الدوغمائية، والعصبية التي ميزت خطابات الغزالي (الشهرستاني، 2019، الصفحات 160-161)، فكان يطمح إلى ترسيخ قيم التسامح والحرية، دون أن يتحول إلى أيديولوجيا، لأنها منافية للنظر النقدي أو تزيف آراء الخصوم بل كانت جهوده منصبه نحو نشد الحقيقة، أي أنه كان منقطعا للعلم وفقط. فالناظر الحصيف لكتبه الشهيرة

التي ألفها يتبين له مفهوم النقد الحقيقي، ذلك أنه يقترب بالطابع الأخلاقي، الذي ينعدم فيه السبب كما هو الحال عند الغزالي، هو نقد لا يمتد إلى الأشخاص، وإنما إلى الأفكار. يتجسد العقل في فلسفة ابن رشد بوصفه الحق المطلق الذي يركز عليه في كل الموضوعات الفلسفية التي بحث فيها؛ فهو الأساس الذي يأخذ به في كل قراراته من دون الاستناد إلى شيء آخر، إذ اعتبره الآلة الوحيدة لبلوغ الحقيقة، وهو ما استقل به فكراً وليس كما يشاع بأنه مجرد شارح لأرسطو، عارض لأفكاره (الشمري، 2015، صفحة 153). ذلك أن من خصائص الفكر الفلسفي الاختلاف، فالفيلسوف لا يكون فيلسوفاً إلا إذا استقل برأيه الخاص واختلف عن غيره من الفلاسفة، وهي السمة التي ميزت ابن رشد، الذي كان من أشد المدافعين عن العقلانية النقدية الحرة باعتبارها جزءاً لا ينفصل عن تاريخ الوعي. فقد ذب عنها من وجهة نظر التزامه بالدفاع عن حرية الرأي. فقد حمل لواء العقلانية والنقد الحر في الفكر الإسلامي، ليس بحكم العنف والإكراه، ولكن، فقط بقوة الحجج ولعل القارئ لكتابه "تهافت التهافت" يدرك أنه بمثابة قانون في أخلاقيات الحوار والنقاش العلمي.

ومن السمات العامة التي تميز بها فكر ابن رشد النقدي، التزام الموضوعية، والجدية والرزانة، والابتعاد عن الأهواء والانفعالات (عابد الجابري، 1998، الصفحات 146-152)، التزم في ردوده أسلوباً علمياً دقيقاً وعميقاً، ليس فيها مكان للعاطفة، ومرد ذلك اجتهاده في طلب الحقيقة والسعي إليها بالطرق العلمية، موازناً بين الآراء والأفكار بمقياس العقل والبرهان، غير متعصب لمذهب أو ملة، وبعبارة عن أسلوب السخرية من خصومه فلاسفة كانوا أم متكلمين (عبد الرحمن مرحبا، 1993، الصفحات 504-505). هذه الخصائص مكنته من الإبداع وتجاوز التقليد الأعشى، اعتمد على العقل دون أن يقع في مسلك التبديع والتكفير، ولم يكن كغيره مماثلاً لهم في مسألة النقد، بل امتاز عنهم بدقته وشموليته. ولعل تعرضه للنكبة، واضطهاده من قبل العامة والفقهاء خير دليل على ذلك.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول بأن ابن رشد فيلسوف النقد بامتياز في عصره، إذ شكل النقد دعامة أساسية في فلسفته (العراقي، 1984، صفحة 13). يمكن للقارئ أن يستشف نزعتة النقدية في كتبه الشهيرة، نقصد "فصل المقال لما بين الحكمة والشريعة من اتصال" "الكشف عن مناهج الملة في عقائد الملة" "تهافت التهافت". حيث رام من خلالها الرد على الفلاسفة، والمتكلمين، والصوفية، والحشوية، من دون خوف ولا ميل

لجهة على حساب الأخرى، يحاكم خصومه بالفصل في آرائهم من خلال تحليل خطاباتهم بمنهج عقلي، فكانت الدراية أغلب عليه في ما اتجه إليه، بمعنى ارتكازه على النظر العقلي النقدي (العراقي، 1984، صفحة 21).

ومن تجليات النقد في فلسفة ابن رشد، سعيه إلى تفكيك مذهب الأشاعرة من أجل الكشف عن حقيقة أدلته وبراهينه؛ فهو في رأيه مذهب استدلالاته قاصرة، لم يلتزم بالبراهين. ولعل الناظر المتبصر يقف على الطابع المتميز لهذا العمل، الذي لم يُرد النقد من أجل النقد، وإنما حاول بناء الفلسفة والعقيدة على أسس سليمة. (ابن رشد، 2019، صفحة 31) فقد أخذ على نفسه مهمة النفي والإثبات، أي النقد وتقديم البدائل. وفي كل مناقشاته نجده يدافع عن الحقيقة بقوة وإخلاص، كان مقصده من كتابه ذلك بيان جوانب الضعف والانحرافات، والبدع التي نتجت عن تأويلات المتكلمين (العراقي، 1984، صفحة 72). ولئن كان نقده موجهاً إلى جميع الفرق الكلامية، فإن النصيب الأوفر أخذته الأشعرية، نظراً لما تضمنته أدلتهم من خلل منطقي. غير أن الجدير بالإبانة، أن ردوده واعتراضاته لم تكن كغاية في ذاتها، أي ردود من أجل الرد والهدم، وإنما يُحكمهم وفق الطريقة البرهانية الأرسطية، وهي محاولة لتأسيس العلم، وللفهم الصحيح للدين ومبادئه، وبهذه المنهجية النقدية عمل على تجاوز معتقداتهم المنغلقة الوثوقية التي لا تتوافق والفصيلة العلمية (العراقي، 1984، صفحة 84). وهذا هو الدور الذي ينبغي للفيلسوف القيام به من أجل محاربة البدع ويضمن السبل الصحيحة للحقيقة، واكتشاف الزيغ والمغالطات لدى الزائغين.

إن النقد عند ابن رشد لم يكن مجرد لحظة عابرة، بل ضرورة فرضها توجهه الفلسفي، وكفيلسوف يحمل عبء إصلاح المجتمع وتمحيص الأفكار، فسعى بذلك إلى خلخلة البدايات والمسلمات التي طغت في عصره، وسعى جاهداً إلى تطهير العقول مما ترسب فيها من مبادئ الحقيقة لدى المذاهب، فكان أن سيطرت الآراء والاتجاهات الواحدة على عامة الناس وبخاصة الفقهاء. أي أن الرغبة في تقويض الخطاب الدوغمائي هي التي أصلت فيه روح النقد، ولعل من رواسب هذا الفكر رفض الرأي الآخر خاصة المخالف للعقيدة، وتوسع الجزمية في الآراء، مما كان له الأثر البالغ في انحسار الحضارة، وتبدد العلوم، وما يشكل أساساً لمنهجه هذا هو اعتباره الفلسفة منهجاً وليست مجرد مجموعة الحقائق خلافاً لمن سبقه من فلاسفة. (بركات، 2002، صفحة 88)

لقد اجتهد ابن رشد من أجل التأسيس لوعي متفتح حر؛ وتغيير الواقع العلمي والفكري، إذ نجده بعد كل نقد للاتجاهات والمذاهب إلى اقتراح البدائل، وهذه المقدرة هي التي قربت به إلى قصر الموحدين، من أجل بناء أسس للتعليم قائمة على التعقل عكس ما كان قائما في دولة المرابطين من قبل، حيث سادت خلالها مناهج التقليد والحفظ التي لا تشجع على التحليل والاجتهاد (بركات، ابن رشد فيلسوفا معاصرا، 2002، صفحة 95). ومن أبرز المهام التي انصب عليها ابن رشد تحليله لمناهج الفرق ودلائلهم، فاختار النقد بديلا عن النزعة النسقية التي طبعت عصره، وهي مواقف وثوقية منغلقة. ولئن كان حريصا على تجنب الوقوع في الحل الهدمي، فإنه جعل من النقد شرطا أساسيا لتحقيق الممكن والعمل على البناء على أنقاض ذلك الهدم، فالنقد يستوجب البحث عن البديل، وليس بمعنى التخطيم حتى لا يقع الفكر في الفراغ (الخويلدي، 2014)

إننا نقف على ناصية النقد في فلسفة ابن رشد من خلال حوار مع الغزالي ومناقشته له، ومواجهته الجريئة لكتابه "تهافت الفلاسفة" الذي تضمن الغارة على الفلسفة، فقضى من خلالها على الفكر الحر، وعلى طموحات الفلاسفة الحكماء نظير ما بدر من صاحبه من تشنيعات بلغت حد الكفر والإلحاد، والوعد بعذاب النار. هذه المواجهة والمقاومة من فيلسوف حكيم شجاع مكنته من إعادة الاعتبار للفلسفة فبزغ نورها وعادت إليها الحياة بعدما كانت في غياهب الجب (لطفي جمعة، 2015، صفحة 268). وقد نظر إليه الجابري نظرة قاض عادل يحاكم خصمين كبيرين، وهما الغزالي وابن سينا، متمكنا من فك النزاعات بينهما بطريقة حكمية موضوعية (عابد الجابري، 1998، صفحة 136). أي أنه فيلسوف تنويري وعميد الفلسفة العقلية النقدية (العراقي، الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية-أربعون عاما من ذكرياتي مع فكره التنويري، 2000، صفحة 31) ذلك أنه حمل لواء التنوير بإعلانه الثورة ضد كل موروث خرافي ظلامي، وقد اتفق كل من الجابري وعاطف العراقي بوصفهما أهم مناصري فلسفته، على أنه يجسد روح الحداثة، لما تميزت به فلسفته من طابع البرهان والنقد، فهي جديرة بأن تحل مشاكلنا راهنا (العراقي، 2002، صفحة 05).

تعتبر لحظة ابن رشد النقدية من أهم اللحظات المشرقة في تاريخ فكرنا العربي، لأنه كان الشخصية المتفتحة على الآخر من خلال الحوار والمناقشة الموضوعية، وهذا بخلاف ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من تعصب للأفكار، وتزايد المواقف المنغلقة التي ترفض

الآخر واختلافه، فتعامله مع الفكر الفلسفي الغربي المتمثل في الفكر اليوناني وعلومه كان تعاملًا نقديًا بامتياز، يقبل ما كان موافقًا للصواب والحق، وما دون ذلك يرفضه. وحاصل القول، إن المنهج النقدي عند ابن رشد يهدف أساسًا إلى هدم الخطاب الدوغمائي من أساسه لكونه يحبس القدرة على التحليل، ويظل دوماً يتلذذ بتكرار اجتراري لنصوص الماضي. وبهذا المنهج الذي امتلك ناصيته تمكن من تقديم الحل لإشكالية العلاقة بين الفلسفة والشريعة، وذلك عن طريق التأويل، وهو وجه آخر من أوجه النقد، وهو الذي يخلص العقل من الاتجاه الجزمي، ونظرًا لقيمتة فإنه وضع له قواعد حتى لا يقع في الإسقاطات الإيديولوجية. وعلى هذا الأساس يمكن اعتباره أساسًا للحرية الفكرية. (بركات، د ت، الصفحات 178-179) كما أن الحملة الشعواء التي حمل لواءها الفقهاء في زمنه ضد الفلسفة والفلاسفة، كان لها الأثر البالغ في تشكيل فكره النقدي، إذ انبرى للرد عليها والتصدي لها من أجل إثبات مشروعية الفلسفة، والفلسفة في جوهرها ليست إلا تعزيزًا للملكة النقد، ذلك أن الفيلسوف لا يرضى بأن يكون فكره مجرد انعكاس لغيره، ولا يرضى اجترار كل ما هو جاهز معطى ومسلم به، ولا بالصمت المطلق، وإنما يظل على الدوام يقظًا. ليس من المبالغة القول بعد الذي استعرضناه أن ابن رشد يمثل نموذجًا ممتازًا للفكر المتيقظ؛ تتمتع بحرية النظر، والتي تقتضي أن يتحرر العقل من كل سلطة تُفرض عليه من الخارج. فكان ذا مقدرة على إذاعة آرائه، وحريصًا على تحقيق استقرار الأمة والمحافظة على استقرارها، من خلال الثورة ضد الوهم والزيغ، وهي المهمة التي اضطلع بها قاصداً تحرير العقل الإسلامي من حكم الفقهاء المقلدين والمتكلمين المشاغبيين. وهذا الحس النقدي هو الذي دفعه إلى الاهتمام بالحوار والمناقشة الموضوعية البريئة من كل توجه عقائدي أو سياسي. إذ إن الفكر لا يُواجه إلا بالفكر، وأنه من الضروري أن تطفئ على كل مفكر الروح النقدية من أجل مواجهة المجتمع وظواهره، ومن أجل تمييز الجيد من الرديء من الأفكار والآراء. لذا جاءت مواقفه رافضة لكل مظاهر التقليد والاجترار والتكرارية.

### خاتمة:

وعلى سبيل الختم، يمكن القول بأن التفكير النقدي يضرب بجذوره في تراثنا الفلسفي؛ حيث كان بمثابة الجانب المضيء في الحضارة العربية الإسلامية، وبمثابة التعبير الحقيقي عن أصالتها، وأصالة مفكرها وفلاسفتها فعلى الرغم من استلهاهم العلوم من الحضارات الأخرى، إلا أن ذلك لم يمنعهم من الاستقلال بفكرهم، واعين بحجم المسؤولية التي على

عائقهم، والمتمثلة في محاربة التقليد، والعمل على نشر الوعي النقدي. وليس من مبالغة إن قلنا بأنها كانت حضارة غنية بالمجادلات والتحليلات الفلسفية العميقة. الأمر الذي جعلنا نحكم عليها بأنها حضارة الإبداع والابتكار.

كما حاولت الدراسة لفت الانتباه إلى تراثنا الفلسفي وما فيه من تجارب نقدية مضيئة لاستلهاهمها في تحسنا الحضاري، حيث كانت تجربة ابن رشد النقدية الثرية، هي إحدى التجارب التي أثرت الفكر الإسلامي والإنساني ويمكن الاستفادة منها في فكرنا الراهن، من أجل الخروج من المأزق الثقافي والحضاري الذي نعيشه. إليه يرجع الفضل في إحياء الفلسفة والعلم، من خلال الاعتناء بخاصية النقد والتشكيك والتصحيح، وهي القيم التي تضمنتها شروحاته وتأويلاته للمؤلفات الخاصة بالفلسفة اليونانية.

إن ابن رشد كان من الذين ساهموا في بناء صرح الفكر النقدي في الثقافة الإسلامية بامتياز، فكان هذا النقد مؤسساً لفكر الأنوار؛ لذلك اعتبر البعض من المهتمين بالفكر الإسلامي أنه مع وفاه ابن رشد انتهى النشاط الفلسفي الخلاق عند العرب، كما انتهى معه الدور الإبداعي، لأن فلسفة ابن رشد قامت على العقلانية والواقعية. وقد جسد من خلال منهجه وفكره النقدي القدرة الفائقة للعقل السامي على ممارسة الفعل الفلسفي الذي يبنى أساساً على النقد.

يحق لنا اليوم الافتخار بهذا المنجز الفكري، وفي الوقت ذاته نحن مطالبون بإحياء هذا النمط من التفكير الحر لإعادة الاعتبار لفكرنا، وتحرير الفكر الإسلامي عامة من أغلال الجمود والتعصب. كما أن المنهج الرشدي هو الذي يجب أن يتحلى به كل باحث عن الحقيقة، لكونه يتحرى من خلاله الدقة والموضوعية.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. البليبي، إبراهيم. (2007). الفكر النقدي هو محرك الحضارة. تم الاسترداد من [www.alriyadh.com](http://www.alriyadh.com)
2. ابن رشد. (2019). الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة أو نقد علم الكلام ضداً على الترسيم الأيديولوجي للعقيدة ودفاعاً عن العلم وحرية الاختيار في الفكر والعقل مع مدخل ومقدمة تحليلية وشروح للمشرف على المشروع. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
3. الشهرستاني، أبو الفتح عبد الكريم. (2019). مصارعة الفلاسفة. (تحقيق: موفق فوزي الجبر) دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.
4. فشر، آلك. (2009). التفكير الناقد. (تعريب: ياسر العتيبي) الرياض: دار السيد للنشر.
5. إمام عبد الفتاح إمام. (1976). مدخل إلى الفلسفة. مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
6. الباهي، حسان. (2013). الحوار ومنهجية التفكير النقدي. إفريقيا الشرق.

7. الخويلدي، زهير. (30 07، 2014). التجربة الفلسفية بين النقد والتأسيس، الحوار المتمدن. تم الاسترداد من [www.alhewar.org](http://www.alhewar.org)
8. خباز، زين العابدين. (2017/10/14). حضور التفكير النقدي في الفكر العربي الإسلامي. مجلة التنوير.
9. العراقي، عاطف. (1984). المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد. مصر: دار المعارف.
10. العراقي، عاطف. (2000). الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية-أربعون عاما من ذكرياتي مع فكره التنويري. القاهرة: دار الرشاد.
11. العراقي، عاطف. (2002). ابن رشد فيلسوفا عربيا بروح غربية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
12. ماهر، عبد المحسن. (2020). أخلاقيات التفكير النقدي في الفلسفة الإسلامية بين الغزالي وابن رشد. مجلة ميريتا الثقافية(العدد 19).
13. الحفني، عبد المنعم. (1990). المعجم الفلسفي، مادة نقد. القاهرة: الدار الشرقية للطباعة والنشر.
14. الشمري، فائزة. (2015). قدم العالم بين لأرسطو طاليس بين الغزالي وابن رشد. القاهرة: دار التنوير للطباعة والنشر.
15. الجابري، محمد عابد. (1998). ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
16. عبد الرحمن مرحبا، محمد. (1993). خطاب الفلسفة العربية الإسلامية النشأة والتطور والنضوج. مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر.
17. بركات، محمد مراد. (2002). ابن رشد فيلسوفا معاصرا. القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع.
18. بركات، محمد مراد. (د ت). المشكلات الفلسفية عند ابن حزم والبصري وابن رشد. السعودية: دار المجلة العربية 191.
19. فندي، العبد الله محمود. (2007). أسس تعليم القراءة الناقدة للطلبة المتفوقين عقليا. الأردن: عالم الكتب الحديث.
20. النشار، مصطفى. (2013). التفكير الفلسفي: المبادئ-المهارات وتطبيقاتها. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
21. لطفي جمعة، مصطفى. (2015). تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
22. الحصادي، نجيب. (24 10، 2021). الفكر الناقد ومقومات الهوية الوطنية، برامج/محاو. تم الاسترداد من [www.france24.com](http://www.france24.com)